تداعيات الكشف عن استخدام العراق لغاز الاعصاب . .

خيارات بغداد واحتمال المواجهة

ان اتفاق انان-عزيز في شباط الماضي وفيما بعد اعلان بتلر-عزيز عن اتفاقهما في مطلع حزيران الماضي على جدول اعمال لشهرين قادمين مع تصريح بتلر وهو في استراليا بامكانية فك الحصار قريبا، كل ذلك خلق انطباعا، لا بل قناعة عند البعض، بان الحالة العراقية ستؤول الى استقرار قائم على التقدم البطيء نحو فك الحصار.

وفجأة تطلع علينا الـ "واشنطن بوست" (23/6/1998) بخبر مسرب بان العراق، على عكس كل ادعاءاته السابقة واستنادا لنتائج تحليل مختبرات الجيش الامريكي لبقايا رؤوس صواريخ عراقية، قد قام فعلا بتعبئة تلك الرؤوس بغاز الاعصاب (vx) في عام 1990.

الموقف العراقي المعلن منذ عام 1995، بعد نفي لمدة تزيد عن اربع سنوات، بانه تعامل مختبريا مع غاز الاعصاب (vx) دون نجاح في تطويره لحالة مستقرة قابلة لتعبئته في رؤوس صاروخية، وان الكمية التي تم تصنيعها من هذا الغاز والبالغة 9،3 طن قد تم تدميرها.

اذا ثبت فعلا ان العراق نجح في تعبئة غاز vx برؤوس الصواريخ فهذا يعني نجاحه في تحويل الغاز الى حالة مستقرة بما يمكن حفظه واخفاؤه لسنوات بعيدا عن انظار المراقبين الدوليين، علما ان قطرة من هذا الغاز كافية لقتل انسان، وبضعة كيلوات كافية لابادة الالاف.

وتحسبا للتشكيك العراقي المتوقع بنزاهة المختبرات الامريكية، ارسلت اللجنة الخاصة بازالة اسلحة العراق المحظورة (اونسكوم) عينات من رؤوس الصوراريخ العراقية الى فرنسا وسويسرا للغرض نفسه، ويتوقع الاعلان عن نتائج فحوصاتها في تموز 1998، بما يحسم الشك باليقين.

حملت بغداد ، في عام 1995، حسين كامل مسؤولية التلكؤ في الاعلان عن برنامج التسلح الجرثومي والكيمياوي، واليوم اذا ثبت ادعاء اونسكوم بشأن غاز vx فيعني ذلك عودة بغداد لنقطة الصفر مجدداً، الامر الذي يثير عاصفة من الاسئلة:

اذا كانت بغداد تملك مثل هذا السلاح او غيره، وفعلا قامت بتعبئته برؤوس الصواريخ، فلماذا لم تستعن بهذا السلاح في الحرب؟

وما يجعل هذا السؤال اكثر الحاحاً ما ذكره سيمور هيرش، الصحافي الامريكي المعروف والمختص بالتحقيقات، في كتابه "ضد كل الاعداء" الذي صدر هذا الشهر، بقوله انه قبل اندلاع الحرب خطف فريق من القوات الخاصة

كان يعمل في عمق الاراضي العراقية عددا من الجنود العراقيين وتوصل من خلال عينات الدم التي اخذت منهم الى انهم اكتسبوا في وقت قريب مناعة ضد ترسانة العراق من الاسلحة البيولوجية.

وقدر محللون في البنتاغون ممن يعتقدون بان صدام حسين طعم جنوده بمصل مضاد للانثراكس ان 200 الف جندي امريكي يمكن ان يقتلوا اذا تعرضوا الى هجوم باسلحة جرثومية، ولكنهم لم يطلعوا الكونغرس على هذه المعلومات لدى طلب موافقته على شن الحرب.

وكشف الجنرال رونالد جريفث، قائد الفرقة المدرعة الاولى حينذاك لهيرش ان الخوف الاضافي من وقوع هجمات عراقية تستخدم فيها اسلحة كيماوية كان هو السبب في عملية الاجتياح الشهيرة على الجناح الشرقي بفرق الدبابات والمشاة الآلية، وهي استراتيجية كان هدفها تفادي حشد القوات قرب مناطق يعتقد ان صدام نشر فيها اسلحة تستخدم غاز الاعصاب. وقال جريفث "لقد اندفعنا ونحن على قناعة مطلقة باننا سنواجه حربا كيماوية".

ان مايثيره هيرش يدفعنا للتساؤل: هل كان وراء عدم استخدام السلاح البيولوجي والكيمياوي في الحرب تفاهم ضمني بين صدام حسين والادارة الامريكية يفسر بقاء النظام واجهاض انتفاضة اذار 1991؟

واذا كانت تلك اسئلة تتعلق بالماضي، والبحث عن اجابة عنها شأن اكاديمي، فماذا عن المستقبل؟ الامر يتعدى البحث عن كبش فداء، كحسين كامل، لتحميله مسؤولية الاخفاء، بل هو ادانة لمسيرة طويلة تصدى لها طارق عزيز مع فريق واسع من الخبراء والمسؤولين العراقيين. ويصعب، اذا صحت نتائج المختبرات الامريكية، تجاهل بغداد للامر باعتباره مجرد حملة دعائية سوداء.

ان الخيارات المتاحة لبغداد في هذه الحالة محدودة وخطيرة، وهي:

- تصعيد الوضع بمواجهة مع اونسكوم كالمطالبة بتغيير بتلر رئيس اللجنة الخاصة، او اعادة النظر بتركيب فرق التفتيش او حتى طردها بما يهدد بمواجهة عسكرية بين بغداد وواشنطن، بأمل تدخل الاطراف الدولية وخاصة روسيا وفرنسا لنزع فتيل الانفجار بما يحفظ ماء وجه بغداد مجدداً لمعاودة المشوار السابق.
- وفي حال فشل نزع فتيل الانفجار وتعرض العراق لضربة جوية امريكية، فان التجارب الماضية اثبتت ان واشنطن ليست بوارد الحسم العسكري باسقاط النظام لمايتطلبه الامر من تورط المشاة الامريكيين، فسيخرج النظام وصدام حسين من الضربة الجوية، رغم خسائرها المادية، "منتصراً" في مواجهة "الشيطان الاكبر" بما يعيد التفاف الشارع العربي والاسلامي حوله.
- الخيار الاخر، وهو الأبعد، ان يلجأ صدام حسين الى طرد الطاقم السياسي والعسكري الذي تحمل مسؤولية ملف التسلح والتفاوض مع الامم المتحدة، محملا اياه مسؤولية الفشل، ويأتي بوجوه جديدة، بأمل اقناع العالم بان

هناك تغييراً جوهري.

الادارة الامريكية من المهادنة الى المواجهة

عكس اتفاق انان-عزيز في شباط الماضي نهجاً جديدا للادارة الامريكية باتجاه ديمومة الحالة العراقية القائمة انذاك دون مواجهة او تأهيل. فقد وجدت الادارة الامريكية نفسها بين خيارين: حرب سيئة ام اتفاق سيء، فأختارت الاخير.

وقد ترتب على هذا الخيار شعور بتلر بان الولايات المتحدة غير مستعدة لدعمه كما الحال سابقاً، وان الرد العسكري ليس بالضرورة خياراً امريكا في حال اصطدام اونسكوم مع بغداد، كما اخذ يتعرض لمزيد من الانتقاد من روسيا وفرنسا والقيود من كوفي انان، الامر الذي يفسر تصريحات بتلر الايجابية تجاه بغداد والتلويح بقرب رفع الحظر.

وحتى فيما يتعلق بغاز الاعصاب vx، فان بتلر تطرق للامر مع طارق عزيز خلال زيارته لبغداد في مطلع شهر حزيران الماضي، واتفقا على ترحيل الموضوع الى مابعد انجاز المهام المتفق عليها خلال الشهرين القادمين.

كما ان الادارة الامريكية كانت على علم بنتائج المختبرات الامريكية بشأن تعبئة غاز الاعصاب vx، ولكنها شاءت عدم الافصاح عنها تاركة الامر لريتشارد بتلر ومجلس الامن.

ولكن فجأة، وخلال ايام، تغير الوضع من مهادنة الى مواجهة بين اللجنة الخاصة وواشنطن من جهة، والعراق من جهة ثانية. تفسير هذا التحول نجده في الاحداث التالية:

- وجه اربعة من قادة الكونغرس (لوت، غنغريتش، هليمز، جيلمان) رسالة الى الرئيس كلينتون بتاريخ 22 حزيران 1998، تضمنت اسئلة محددة تعكس في واقع الامر معرفة مسبقة بنتائج المختبرات الامريكية بشأن غاز الاعصاب vx. قالوا فيها: "اننا في غاية القلق من فشل الولايات المتحدة الظاهر في تقديم الدعم الكامل لنشاط اللجنة الخاصة للامم المتحدة بشأن العراق . .."، وطرحت الرسالة عدة اسئلة منها:

((1-هل لدى حكومة الولايات المتحدة ادلة مقنعة عن قيام العراق بالتصنيع الحربي لغاز الاعصاب vx؟.

2- واذا كانت مثل هذه الادلة متوفرة لدى حكومة الولايات المتحدة، فهل حثت اونسكوم على تقديم هذه الادلة الى مجلس الامن؟

3- واذا كانت الادارة قد قامت فعلا بحث اونسكوم على تقديم الادلة الخاصة بغاز الاعصاب (في اكس) الى مجلس الامن، فيا ترى هل اكدت الادارة لاونسكوم بانها ستشهد على صدقية هذه المعلومات في حال تقديمها؟

4- هل ان الادلة التي بحوزة حكومة الولايات المتحدة بشأن التصنيع الحربي لغاز (في اكس) تناقض ماقدمه العراق من معلومات بهذا الشأن الى اونسكوم؟

5- واذا كان لدى حكومة الولايات المتحدة ادلة على تصنيع العراق الحربي لغاز الاعصاب (في اكس) بماينا‌قض الوثائق التي تقدم بها العراق الى اونسكوم، فهل قامت الادارة بحث اونسكوم للحصول على وثائق دقيقة حول الموضوع، وهل دعمت اونسكوم في مجلس الامن بهذا الشأن.))

وفي يوم الثلاثاء، 23/6/1998، اي بعد يوم من رسالة قادة الكونغرس الى الرئس كلينتون، نشرت ال "واشنطن بوست" نتائج تحاليل المختبر العسكري الامريكي الذي اكد وجود اثار لغاز الاعصاب في رؤوس الصواريخ العراقية، وذكرت الصحيفة انها حصلت على نسخة من التقرير من عناصر "المؤتمر الوطني العراقي" المعارض، بما زاد بالنسبة لبغداد الطين بلة.

في ضوء هذه التطورات خرج جيمس روبن الناطق باسم الخارجية الامريكية ليؤكد دعم الادارة الامريكية لانسكوم، الامر الذي تزامن مع تصعيد في لغة ريتشارد بتلر، الذي تقدم بتقرير الى مجلس الامن يدين بغداد لاستخدام غاز الاعصاب vx للاغراض العسكرية وبالتالي قرر مجلس الامن الابقاء على العقوبات المفروضة على العراق لستين يوما جديدة.

لم تكن ادارة الرئيس كلينتون يوما بصدد تأهيل او رفع الحصار عن العراق، ولكنها لم تكن راغبة في تصعيد الوضع بمايجعل من المواجهة العسكرية ضرورة، فقامت بسحب اكثر من ربع قواتها البحرية من الخليج رغم ان الكونغرس وفر تخصيصات لبقائها لغاية ايلول القادم.

لقد اسقط قادة الكونغرس الجمهوريين بيد الادارة الامريكية، فأي دحض لنتائج مختبرات الجيش الامريكي فيه تشكيك لصدقية المؤسسات الامريكية، وفي حالة تأكيد هذه النتائج في المختبرات الفرنسية والسويسرية على واشنطن مواجهة احتمال الصدام العسكري مع بغداد.

ان نذر العاصفة القادمة في تصاعد مستمر، فبتلر الذي سيزور بغداد في 11 تموز سيطلب من بغداد الاجابة على الاسئلة التالية: كم انتج العراق من هذه المادة، واين وضعها واين هي الان؟ هذا في وقت تصر بغداد الى هذا اليوم على النفي والانكار متهمتا بتلر بانه "غير محايد وانه يتكلم بلسانين" و "بممارسة الكذب والخداع والتضليل".

هنا نعود مرة اخرى لخيارات بغداد في حالة تأكيد المختبرات الاوروبية نتائج المختبر العسكري الامريكي.

ان تعويل بغداد على اصدقائها "فرنسا وروسيا والصين" لانقاذها من مواجهة عسكرية لم يعد امرا مفروغا منه، فقد نقل عن وزير الخارجية الروسي يفغيني بريماكوف (25/6/98)، قوله "ان العراق يجب ان يكف عن انكار انه

زود رؤوس صواريخ بغاز الاعصاب (في اكس) وان يتعاون مع مفتشي الاسلحة الدوليين لرفع العقوبات".

كما كتبت افسانا بشيربور مراسلة صحيفة اللوموند في الامم المتحدة (بتاريخ 26/6/1998)، ان تصرفات بغداد باتت مدعاة سخط فرنسا وروسيا اللذين اخذا يتبرما من وصفهما بـ "اصدقاء بغداد".

كما ان التعويل على الحذر الامريكي من تورط عسكري مباشر بقوات برية، قد يكون دعوة لواشنطن لمفاجأة بغداد. علما ان مصادر موثوقة اكدت ان الولايات المتحدة استطاعت تبليغ بغداد قبيل زيارة كوفي انان في شباط الماضي، بانها تتوقع من بغداد الاستجابة لكوفي انان والا فانها مستعدة لتوجيه ضربات متتالية وشاملة قد لايخرج منها النظام سالماً، وان هذا التهديد كان حاسماً في ترحيب بغداد بكوفي انان والموافقة على تفتيش القصور الرئاسية.

ان استعداد واشنطن ولندن تسديد ضربة قاضية للنظام العراقي سوف لن يجد معارضة من دول الخليج العربية كما حصل في الازمة الاخيرة في شباط الماضي. فدول الخليج العربية لاتريد ضربة تنتهي ببقاء النظام بماتزيده قوة، ولكنها مع ضربة تنهي النظام. والانفتاح الامريكي الاخير على ايران سيساعد بدون شك على تحييد طهران امام مثل هذا الخيار.

ان هذا السيناريو سيثير السؤال التالي: ماذا يمنع بغداد من استخدام سلاح غاز الاعصاب vx، في حالة تعرض النظام للسقوط وماذا تملك واشنطن في مواجهة هذا الاحتمال؟

ولكن ماضي النظام العراقي اثبت تشبثه بالبقاء بأي ثمن وبالتالي استعداده للتراجع اذا كان في ذلك كسبا للوقت، كماحصل في الانسحاب من الكويت والاعتراف بكافة قرارات الامم المتحدة، ومن ثم اعلانه بدء المراجعة والانفتاح وتعيينه سعدون حمادي رئيساً للوزراء تحت ضغط الانتفاضة، ولكن سرعان ماتراجع عن التزاماته تجاه الامم المتحدة والعراقيين.

(الملف العراقي، العدد 79 - تموز 1998)

❋ ❋ ❋